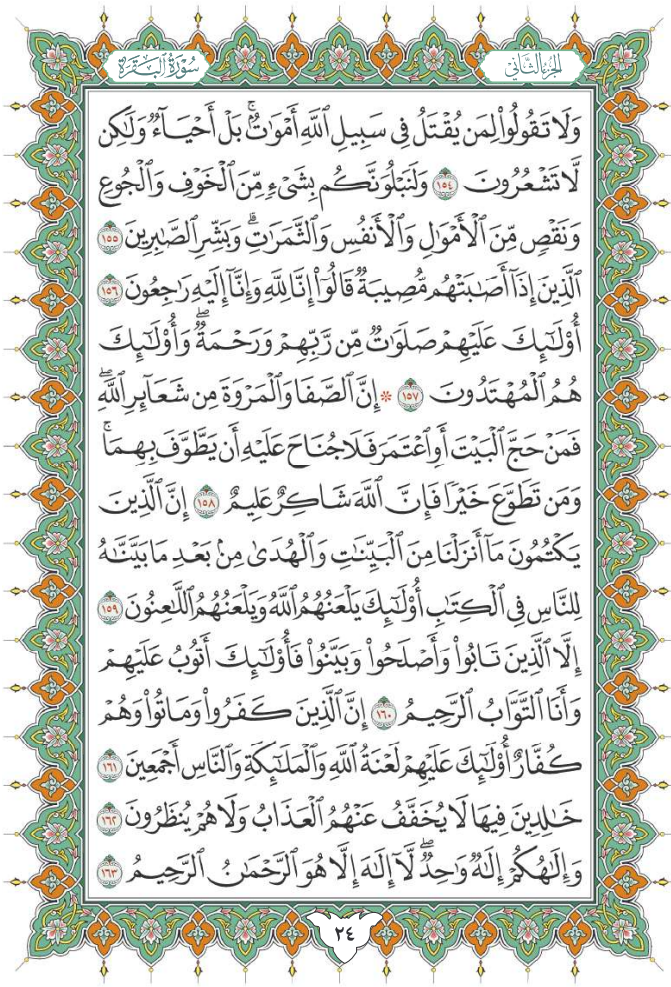


﴿١٥٤﴾- ولن يؤدّي الصّبر إلا إلى الخير والسّعادة في الدّارين، فلا تقعدوا عن الجهاد في سبيل الله، ولا ترهبوا الموت فيه، فمن مات في الجهاد فليس بميّت بل هو حيّ حياة عالية وإن كان الأحياء لا يحسّون بها.

﴿١٥٥﴾- والصّبر درع المؤمن وسلاحه الذي يتغلّب به على الشّدائد والمشاقّ، وسيصادفكم كثير من الشّدائد فسنمتحنكم بكثير من خوف الأعداء والجوع وقلّة الزّاد والنّقص في الأموال والأنفس والثّمرات، ولن يعصمكم في هذا الامتحان القاسي إلا الصّبر، فبشّر يا أيّها النّبيّ الصّابرين بالقلب وباللّسان.

﴿١٥٦﴾-الذين إذا نزل بهم ما يؤلمهم يؤمنون أنّ الخير والشّر من الله، وأنّ الأمر كلّه لله فيقولون: إنّا مِلْكٌ لله تعالى وراجعون إليه، فليس لنا من أمرنا شيء، وله الشّكر على العطاء وعلينا الصّبر عند البلاء، وعنده المثوبة والجزاء.

﴿١٥٧﴾- فهؤلاء الصّابرون المؤمنون بالله لهم البشارة الحسنة بغفران الله وإحسانه، وهم المهتدون إلى طريق الخير والرّشاد.

﴿١٥٨﴾- وكما أنّ الله رفع شأن الكعبة بجعلها قبلة الصّلاة، رفع أمر الجبلين اللّذين يُشَارِفانِهَا وهما الصّفا والمروة فجعلهما من مناسك الحجّ، فيجب بعد الطّواف السّعي بينهما سبع مرّات، وقد كان منكم من يرى في ذلك حرجًا لأنّه من عمل الجاهليّة، ولكنّ الحقّ أنّه من معالم الإسلام، فلا حرج على من ينوي الحجّ أو العمرة أن يسعى بين هذين الجبلين، وليأت المؤمن من الخير ما استطاع فإنّ الله عليم بعمله ومثيبه عليه.

﴿١٥٩﴾- وأولئك الذين أنكروا عليكم أمر دينكم فريقان: فريق من أهل الكتاب الذين يعرفون الحقّ ويخفونه على علم وعناد، وفريق المشركين الذين عميت قلوبهم عن الحقّ، فاتّخذوا أربابًا من دون الله، فأهل الكتاب الذين عرفوا براهين صدقك تبيّنوا الحقّ في دينك ثمّ أخفوا هذه الدّلائل وكتموها عن النّاس، أولئك يصبّ الله عليهم غضبه ويبعدهم عن رحمته، ويدعو عليهم الدّاعون من الملائكة ومؤمني الثّقلين من الجنّ والإنس بالطّرد من رحمة الله.

﴿١٦٠﴾- ولا يُستثنى من أهل الكتاب إلّا من تاب وأحسن فرجع عن الكتمان، وتدارك أمره بإظهار ما كان يخفيه من وصف الرّسول والإسلام، فإنّ الله يتقبّل توبته ويمحو ذنبه، فهو الذي يقبل التّوبة من عباده رأفة منه ورحمة.
أمّا الذين استمرّوا على الكفر وماتوا على ذلك دون توبة ولا ندم، فجزاؤهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين.

﴿١٦١﴾- وسيستمرون في هذه اللّعنة وفي النّار لا يخفّف عنهم العذاب، ولن يمهلوا أو يؤخّروا، ولو طلبوا الإمهال والتّأخير لن يجابوا إليه.

﴿١٦٢﴾ - ينفرد بالعبوديّة واحد، فلا إله غيره، ولا سلطان لسواه، وقد اتّصف بالرّحمة فهو رحيم بعباده في إنشائهم وتكوينهم.

## الآيات من 153-157

### الصبر على البلاء ومقام الشُّهداء

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.



## أسباب النزول والمناسبة

**سبب نزول الآية (١٥٤):** نزلت في شهداء بدر، وكانوا بضعة عشر رجلًا، ثمانية من الأنصار، وستّة من المهاجرين، والسّبب أنّ النّاس كانوا يقولون للرّجل يقتل في سبيل الله: مات فلان وذهب عنه نعيم الدّنيا ولذّتها، فأنزل الله هذه الآية.

**المناسبة:** لمّا فرغ تعالى من بيان الأمر بالشّكر، شرع في بيان الصّبر والإرشاد والاستعانة بالصّبر والصّلاة، فإنّ العبد إمّا أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها، كما قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[1]. وفي كلّ بلاء من الله خير، ولو كشف لك الغطاء لرأيت البلاء عين العطاء، فالمؤمن يشكر الله على السّراء والضّراء.

وبيَّن تعالى أنّ أجود ما يستعان به على تحمّل المصائب الصّبر والصّلاة كما تقدّم في قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[2]، وعن حُذَيفة رضي الله عنه قال: "كان النّبيّ ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ صَلّى"[3]. فعند الصّلاة يقرأ العبد الفاتحة، فيحمد الله تعالى ويذكر نعم الله عليه، ثمّ بقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[4] يستعين بالله على رفع ما نزل به من بلاء. وعند السّجود يقول: سبحان ربّي الأعلى وبحمده من قدّر عليّ هذا البلاء- ويستحضره- ثمّ يقول: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[5] رضيت بالله ربًّا. فمن فعل ذلك في صلاته وسجوده، انشرح صدره، وخفّ حمله.

**والصّبر أنواع:** فصبر على **ترك المحارم والمآثم**، وصبر على **فعل الطّاعات والقربات**، والثّاني أكثر ثوابًا لأنه المقصود. وأمّا الصبر الثالث فهو الصّبر على المصائب والنّوائب. وعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهم؛ قَالَ: **"إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؛... ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: أَيْنَ الصَّابِرُونَ؟ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ قَبْلَ الْحِسَابِ. فَيَقُومُ عُنُقٌ مِنَ**

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن صهيب، حديث رقم: ٢٩٩٩، كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كلّه خير.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.
(٣) رواه أبو داود في سننه، عن حذيفة بن اليمان، حديث رقم: ١٣١٩، كتاب: تفريع أبواب التطوع وركعات السنة، باب: وقت قيام النّبيّ ﷺ من اللّيل.
(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

النَّاسِ، فَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُونَ: إِلَى أَيْنَ يَا بني آدم؟ فيقولون: إِلَى الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: قَبْلَ الْحِسَابِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُونَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ الصَّابِرُونَ. فَيَقُولُونَ: وَمَا كَانَ صَبْرُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: صَبَرْنَا عَلَى طَاعَةِ اللهِ حَتَّى تَوَفَّانَا اللهُ"[1]. ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، وعن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: "الصَّبْرُ اعْتِرَافُ الْعَبْدِ بِمَا أُصِيبَ مِنْهُ، وَاحْتِسَابُهُ الْأَجْرَ عِنْدَ اللهِ وَرَجَاءُ ثَوَابِهِ، وَقَدْ يَجْزَعُ الرَّجُلُ وَهُوَ مُتَجَلِّدٌ لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا الصَّبْرُ"[3].

## المعنى العام

يقول الحقّ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ﴾ على نيل رضواني وبرّي وإحساني ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على مشاقّ الطّاعات وترك المعاصي والهفوات وحظوظ النّفس، ﴿وَالصَّلاةِ﴾ فإنّها أمّ العبادات، ومحلّ المناجاة ومعدن المصافاة، فيها تشرق شوارق الأنوار، وتتّسع ميادين الأسرار، وهي معراج أرواح المؤمنين ومناجاة ربّ العالمين، فإن تجرّعتم مرارة الصّبر، فاعلموا ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وأعظم مواطن الصّبر عند مفارقة الأحباب، وذهاب العشائر والأصحاب، ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ﴾ فإن كان موتهم في الجهاد فلا ينبغي لأجلهم أسف ولا نكاد ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ عند ربّهم يرزقون، وكذلك من ألحق بهم من ذي هدم وغرق وحرق ونفاس وطاعون، فلا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله من هؤلاء هم أموات، بل هم أحياء حياة روحانيّة لا بشريّة، ﴿وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ بحياتهم لأنّهم مجرد أرواح، وأنتم قد لبستم طلسم الأشباح، فاختفى عنكم مقام الأرواح، وكذلك أرواح المؤمنين كلّهم أحياء.

وإنّما خصّ الشّهداء بالذّكر في القرآن الكريم، تشريفًا لهم وتعظيمًا لمزيد بهجة وكرامة، وإجراء رزقه عليهم دون غيرهم، وَيُرْوَى أنّ: "أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلَقُ فِي الْجَنَّةِ"، أَيْ: تُصِيبُ مِنْ وَرَقِهَا[4]. ويخبر تعالى أنّ الشّهداء في برزخهم أحياء يرزقون، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[5] فَقَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: "أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ"[6].

ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، في والده الذي قتل يوم أحد، قال له رسول الله ﷺ: ((يَا جَابِرُ، أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ تعالى لِأَبِيكَ؟)) قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: ((مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ. قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا﴾)).

ولا يدخل الجنّة أحد غيرهم إلى ميقاتها إلا الصدّيقون، العارفون، فهم أعظم من الجميع لمزيد تصرّف وإدراك وسعة روح وريحان، وتحقّق شهود وعيان، فهم في نعيم الجنان كالشّهداء، لكنّ الصدّيقين غير محصورين في حواصل الطّيور، بل لهم هياكل وصور سرحوا بها حيث شاؤوا. وكذلك من فوقهم من الأنبياء والرّسل، والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه الدينوريّ في المجالسة وجواهر العلم، عن عليّ بن الحسين، حديث رقم: ٨٤٤، باب: الجزء السادس.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق، عن سعيد بن جبير، باب: في ثواب المعزّي والصبر على المصيبة.
(٤) ذكره البغويّ في شرح السنة، كتاب: السير والجهاد، باب: ثواب الشهادة.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٦) رواه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ١٨٨٧، كتاب: الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة.

ثمّ أخبرنا تعالى أنّه يبتلي عباده فقال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ ولنختبرنّكم ونمتحنّكم يا معشر المسلمين بالبلايا الخمس. حتى نعلم المجاهد والصابر علم معاينة، حتى يقع عليه الجزاء. والصبر الشاقّ على النفس الذي يعظم الثواب عليه إنما هو عند المصيبة وحرارتها، فإنّه يدلّ على قوة القلب وثباته في مقام الصبر، وهو معنى حديث النص المتقدم: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى". وأما إذا بردت حرارة المصيبة، فكلّ أحد يصبر إذ ذاك.

فالله تعالى جعل في دارِ الدُّنيا ابتلاءاتٍ وامتحاناتٍ، فقال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

كُلُّ إنسان لا بدَّ أن يمرَّ بخمسة أشكال من الابتلاءات تتنوّع:

١. **بشيءٍ من الخوف**: يكون إمَّا بالحرب، وإمَّا بالقلق.

٢. **بشيءٍ من الجوع**: إمَّا بالمرض، وإمَّا بالصِّيام أو لغلاء الأسعار وقلّة الثمار.

٣. **بنقصٍ من الأموال**: إمَّا بتلف المال، وإمَّا بالسَّرقة، وإمَّا بالانهيارات الاقتصاديَّة أو تعذّر التجارة أو الخسران.

٤. **بنقصٍ من الأنفس**: إمَّا بالمرض، وإمَّا بموت الأحبَّة أو بالموت في الجهاد.

٥. **بنقصٍ من الثَّمرات**: إنَّ بعض الأعمال الّتي تقوم بها لا تثمر، فقد لا تخسر مالًا ولكن قد تخسر وقتاً وتعبًا وجهدًا بذلته فلم يأتِ بفائدة، كمن زرع ولكن لم يحصد ثمراً بسبب آفة زراعية أو قَحط أو برد أتلفه.

**س لماذا تتنوّع الابتلاءات؟**

**ج** لأنَّه الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، فالله تعالى يعلم أيَّ بَلاءٍ يصلح لك، وفي أيِّ زمان، فلا يكلّفك إلَّا وسعَك، ويبدّل بَلاءَكَ حَسْب مصلحتِكَ في كلِّ حين. فالحمد لله الّذي بيده بلائي، ولو أنَّ هذا البلاء بيد أحد غير الله تعالى، لأنزل بك من البلاء ما لا تتحمَّل، أو لأعطاك بلاءً لا يتناسب معك الآن، فأنت في هذا الوقت يتناسب معك بلاء من نوع آخر، يعرّفك به ويُلجئك إليه أكثر، فالحمد لله أنَّ البلاء بيده سبحانه.

علينا أن نؤمن أنَّ البلاء هو عين العطاء: فليس المقصود من البلاء هو البلاء بذاته، وإنَّما المقصود من البلاء العطاء، وأي عطاء أعلى من قربه ورضاه عنك إن صبرت وشكرت. تمامًا كما تمنع ولدك من فعل ما لا ينبغي، أو من فعل ما يعود عليه بالضَّرر. وكما تجبر ولدك على الذَّهاب إلى الطبيب وعلى الدِّراسة وعلى تقديم الامتحانات، وتأتيه بأستاذ، وهو يريد أن يلعب ويلهو، فيراهُ الولَدُ بلاءً، ولكنَّه في الحقيقة عَينُ العَطاءِ لأنّ فيه مصلحتك، ولله تعالى المثلُ الأعلى. قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

وعن الشّافعي رحمه الله: الخوف خوف الله، والجوع صوم رمضان، والنّقص من الأموال بالزّكوات والصّدقات، ومن الأنفس بالأمراض، ومن الثّمرات موت الأولاد. ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ بيَّن تعالى مَنْ الصابرون الذين بشَّرهم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ في بدن أو أهل أو مال أو صاحب، ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ تسلّوا بقولهم هذا عمَّا أصابهم، وعلموا أنّهم ملك لله وقالوا إنّا لله ملكًا وعبيدًا يحكم فينا بما يريد يتصرّف في عبيده بما يشاء، وعلموا أنّه لا يضيع لديه مثقال ذرَّة يوم القيامة، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الدّار الآخرة فيجازينا بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فتغيب مصائب الدّنيا في جانبه.

ولهذا أخبر تعالى عمَّا أعطاهم على ذلك فقال: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ الصّلاة صلة فيزادوا صلة

به سبحانه، والرّحمة مغفرة لهم وتطهير من ربّهم، وقضاء حوائجهم في الدّنيا والآخرة ومزيد عطف ولطف وثناء وأمَنة من العذاب، ﴿وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ لكلّ خير في الدّنيا والآخرة. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، قال: "نِعْمَ الْعِدْلَانِ، وَنِعْمَ الْعِلَاوَةُ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ، قَالُوا: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ، نِعْمَ الْعِدْلَانِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ، نِعْمَ الْعِلَاوَةُ"[1]

**"العدلان"** المثلان ومراده بهما الصّلوات والرّحمة لمن صبر واحتسب عند المصيبة. و**"العلاوة"** ثناء الله تعالى عليهم بالهداية. فهؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضًا، وأولئك الصّابرون الرّاجعون إلى الله.

**والصبر صبران:** صبر عن معصية الله، فصاحبه مجاهد، وصبر على طاعة الله، فصاحبه عابد، والثاني أكثر ثوابًا؛ لأنه المقصود. فإذا صبر عن معصية الله، وصبر على طاعة الله، أورثه الله الرضا بقضائه. وعلامة الرضا: سكون القلب بما ورد على النفس من المكروهات والمحبوبات: وأما الصبر الثالث وهو المصائب والنوائب فذاك أيضًا واجب كالاستغفار من المعايب.

وإذا أصيب المؤمن بمصيبة: وهي النكبة التي تصيب الإنسان، وإن صغرت، قال: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2]. فقيل: أمصيبة هي يا رسول الله؟ قال: «نعم، كل ما آذى المؤمن فهو مصيبة» فالمصيبة إذن: كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه، وروى مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد ﷺ أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[3]. إلا كفّر به من سيئاته".

ومن أعظم المصائب: المصيبة في الدّين، أخرج السمرقندي أبو محمد في مسنده من عطاء بن أبي رباح، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ». قال ابن عبد العزيز: وصدق رسول الله ﷺ؛ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي، وماتت النبوّة. وكان أول ظهور الشرّ بارتداد وتوابعه، وكان المصاب بالنّبيّ ﷺ أول انقطاع الخير وأوّل نقصانه.

والاسترجاع تسليم وإذعان وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وقد جعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب، وعصمة للممتحنين، لما جمعت من المعاني المباركة، فإن قوله: ﴿إِنَّا لِلّهِ﴾ توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وقوله: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار بالهلاك على أنفسنا والبعث من قبورنا، واليقين أن مرجع الأمر كلّه لله تعالى.

قال سعيد بن جبير ﷺ تعالى: لم تُعط هذه الكلمات نبيًّا قبل نبيّنا، ولو عرفها يعقوب، لما قال: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾[4].

وبشارة الصابرين: إما بالخلف، كما أخلف الله لأم سلمة رسول الله ﷺ، فإنه تزوجها لمّا مات زوجها أبو سلمة، وإما بالثّواب الجزيل، كما في حديث أبي موسى المتقدم المتضمن بناء بيت في الجنة يسمّى بيت الحمد للصابرين.

وقد أنعم الله على الصابرين المسترجعين بنِعم عظمى هي المغفرة والرحمة؛ لأن الصلاة من الله على عبده هي رحمته وبركته وتشريفه إيّاه في الدنيا والآخرة. وقال الزجاج: "الصلاة من الله ﷻ: الغفران والثناء الحسن". ومن هذا: الصلاة على الميت، إنما هو الثناء عليه والدّعاء له.

وقيل: أراد بالرّحمة كشف الكربة وقضاء الحاجة، والمغفرة والرحمة عدل إلهي، وزاد الله الصابرين شيئًا ثالثًا وهو الهداية: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

**الخلاصة**: أن من صبر عند الصدمة الأولى، ورضي بالقضاء والقدر، وطلب الأجر والثواب من الله على مصيبته، واحتسب ذلك عند الله، ولم يبدر منه كلمة فيها سوء أدب مع الله، عوّضه الله خيرًا منها في الدّنيا، وغمره باللُّطف

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن عمر، حديث رقم: ٣٠٦٨، كتاب: التفسير، باب: بسم الله الرحمن الرحيم من سورة البقرة، الحديث صحيح.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦. (٣) أي يغمّه. (٤) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

الإلهي في الدنيا والآخرة، وأسبغ عليه نعمة كبيرة وفضلاً عظيماً في الأخرة: وهو مغفرة الذنوب والخطايا، ودخول الجنة، والإقامة في بيت الحمد. رزقنا الله الإيمان، وربى نفوسنا على التدرُّع بالصبر الجميل عند كل مصيبة صَغُرَتْ أم عَظُمَتْ، والله المستعان، والله مع الصابرين بالعون والولاية والرعاية والنصر.

## لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

### ما يستخلص من الآيات

#### في العقيدة

**من هدي الآيات:**

١. فضيلة الصّبر والأمر به والاستعانة بالصّبر والصّلاة على المصائب والتّكاليف، فقد "كان النّبيّ ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ صَلّى" (١).

٢. ويقال استوجب الصّابرون نهاية الذّخر، وعلوّ القدر حيث نالوا معيَّة الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٢).

٣. فضل الشّهداء على غيرهم بحياتهم عند ربّهم حياة أكمل من حياة غيرهم في الجنّة.

٤. قال رسول الله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ» (٣).

٥. وقال ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»(٤)، وإنّما نال الشّهيد عظيم الأجر عند الله، لأنّه أحبّ لقاء الله فأحبّ الله لقاءه. ولأنّه آثر ما عند الله على ما في هذه الدّنيا الفانية. والشّهداء قسمان: شهيد الدّنيا وهو الذي مات في سبيل إعلاء كلمة الله وهو مقبل غير مدبر مخلصًا لله. وشهيد الآخرة وهو أن يُعطى من جنس أجر الشّهداء، ولا تجري عليه أحكامهم في الدّنيا، وقد ذُكر في الحديث سبعة أصناف من الشّهادة، فقال: «الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ»(٥) ومّما تقدّم نعلم أنّ المسلم الّذي يموت بسبب مرض أو حادث سيّارة ونحو ذلك من الميتات التي فيها شدّة وألم، نرجو أن يكون من الشّهداء. هذا وليعلم أنّ لنيل أجر الشّهادة شروطًا كما أجاب السّبكيّ عندما سُئل عن الشّهادة وحقيقتها فقال: إنّها حالة شريفة تحصل للعبد عند الموت لها سبب وشرط ونتيجة(٦). من هذه الشّروط: الصّبر والاحتساب وعدم الموانع كالغلول، والدّين، وغصب حقوق النّاس، ومن الموانع كذلك: أن يموت بسبب معصية كمن دخل دارًا ليسرق فانهدم عليه الجدار، فلا يقال له شهيد، وإن مات بالهدم، وكذلك الميتة بالطّلق الحامل من الزّنا.

٦. وفي قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ يقال فاتتهم الحياة في الدّنيا ولكن وصلوا إلى الحياة الأبديّة في العُقْبَى، فهم في الحقيقة أحياء، يجدون من الله فنون الكرامات.

- ويقال هم أحياء بذكرِ الله لهم، والذي هو مذكور الحقّ بالجميل بذكره السّرمديّ ليس بميت.

(١) رواه أبو داود في سننه، عن حذيفة، حديث رقم: ١٣١٩، كتاب: تفريع أبواب التطوع وركعات السنة، باب: وقت قيام النّبيّ ﷺ.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.
(٣) رواه ابن ماجة في سننه، عن المقدام بن معدي، حديث رقم: ٢٧٩٩، كتاب: أبواب الجهاد، باب: فضل الشهادة في سبيل الله، الحديث حسن.
(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن سهل بن حنيف، حديث رقم: ١٩٠٩، كتاب: الإمارة، باب: استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى.
(٥) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن جابر بن عتيك، حديث رقم: ٣١٩٠، كتاب: في الشهيد، باب: ذكر الخصال التي تقوم مقام الشهادة لغير القتيل في سبيل الله، الحديث صحيح.
(٦) ذكره السبكي في فتاويه، باب: ﴿ولا تحسبنّ الّذين قُتلوا في سبيلِ الله﴾، ج١، ص٥٠.

- ويقال إنَّ أشباحهم وإنْ كانت متفرقة، فإنَّ أرواحهم بالحقّ سبحانه متحقّقة. ولئن فَنِيَتْ بالله أشباحُهم فلقد بَقِيَتْ بالله أرواحهم، لأنَّ من كان فناؤه بالله كان بقاؤه بالله.
- ويقال هم أحياء بشواهد التّعظيم، عليهم رداء الهيبة وهُمْ في ظلال الأُنْس، يبسطهم جَمَالُه مرّةً، ويستغرقهم جلاله أخرى.

٧. **واعلم** أنّ الدّنيا ابتلاء بين السرّاء والضّرّاء، ذكر في الأوّل شكر النّعم، ثمّ ذكر الصّبر على البلاء. ابتلاهم بالنّعمة لِيُظْهِرَ شكرهم، ويتخلّقوا باسم الله الشّكور. وابتلاهم بالمحنة ليظهر صبرهم، ويتخلّقوا باسم الله الصّبور.

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفٌ فِي الصَّبْرِ، وَنِصْفٌ فِي الشُّكْرِ**»[1]، وقاله غير واحد من السّلف الصّالح. ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر في قوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[2] فاذكروا الله في المحنة بالاسترجاع والرّضا بالقضاء، واذكروه في النّعمة بالحمد والشّكر والحياء.

٨. قد يُبتلى المؤمن بالمصائب في النّفس والأهل والمال ليصبر، فترتفع درجته ويعلو مقامه عند ربّه، ويتعرّف إلى أسماء الله الجلاليّة. قال: ابتلاهم **بالخوف** وفيه تصفية لصدورهم، **وبالجوع** وفيه تنقية لأبدانهم، **وبنقص من الأموال** تزكو به نفوسهم، **وبمصائب النّفوس** يعظم بها عند الله أجرهم، **وبآفة الثّمرات** يتضاعف من الله خلفهم، فقال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الذين لا اعتراض لهم على تقديره فيما أمضاه.

## س لِمَ لا تخلو الدُّنيا مِن الأمراضِ والمصائِبِ والشّيخوخةِ والموتِ؟

ج الدُّنيا مظهرُ تجلّي الأسماءِ الإلهيّةِ. ولكي يَعرِفَ الإنسانُ هذه الأسماءَ؛ خَلقَ اللهُ تعالى الدُّنيا، وجعلَها دارَ ابتلاءٍ، فيها خيرٌ وشرٌّ، وفيها أعراضٌ وأمراضٌ ومصائبُ، وانتقالٌ مِن مَرحَلةِ الاجتنانِ -أي كون الإنسان جنينًا- إلى مَرْحَلةِ الطّفولةِ، إلى الشّبابِ إلى الكُهولةِ، إلى الشّيخوخةِ، ثُمّ المَوتِ. فمَن نجَحَ بِمَعْرِفَةِ هذه الأسماءِ التّسعةِ والتّسعينَ والتّخلُّقِ بها؛ نقَلَه اللهُ تعالى مِن دارِ الدُّنيا الموقوتةِ، بما فيها مِن خيرٍ وشرٍّ، وسرور ونَكَدٍ، إلى دارِ الآخرةِ الأبديّةِ التي سمّاها دارَ السّلامِ، حيثُ لا أمراضَ ولا مصائبَ ولا شيخوخةَ ولا كَرْبَ، بل هي سلامٌ مُطلَقٌ وسعادةٌ تامّةٌ، وفيها يَعرِفُ الإنسانُ باقي أسماءَ اللهِ تعالى التي لا تُعدُّ ولا تُحصى إلى أبَدِ الآبدينَ.

### ما تجري به المقادير الربّانيّة ممّا ظاهره شرّ هو في حقيقة أمره خير

الله حكيم، وأفعاله دائمًا حكيمة. قد تظهر بعض أفعاله للناس على أنّها شرّ، لكن في حقيقتها هي خير مطلق، لأنّ حكم الله يهدف دائمًا إلى مصلحة البشر، حتى وإن خالف ما يظنّه الناس مناسبًا لهم.

الشرّ الوحيد هو ما يصدر عن المخلوق حين يخالف أوامر الله، أمّا أفعال الله فهي خير، حتّى وإن كانت تبدو في الظاهر غير ذلك. المقادير التي ينزلها الله، سواء كانت نعمًا أو مصائب، تحمل غايات مثل الابتلاء، والتربية، والجزاء المعجّل. وقد تقضي الحكمة في بعض الأحيان أن يكون الامتحان بالنّعمة، وقد تقضي الحكمة في أحيان أخرى أن يكون الامتحان بالمصيبة، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[3]. أي نمتحنكم بما تسمّونه شرًّا من مصائب، وبما تسمّونه خيرًا من نِعَم.

ومعلوم أنّ أصل الامتحان هو من قبيل الخير، لأنّه هو الطّريق إلى نعيم الخلود لمن أراده. يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[4].

---

(١) رواه البيهقيّ في شعب الإيمان، عن أنس، حديث رقم: ٩٢٦٤، كتاب وباب: في الصبر على المصائب.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٥.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

### الصبر على الابتلاء:

الابتلاء بالضّرّاء قد يكون أصلح لبعض الناس من الابتلاء بالسرّاء، وذلك لأنّ استعدادهم للصبر على المصيبة قد يكون أقوى من قدرتهم على ضبط النفس في السرّاء، خاصّة إذا انغمسوا في لذّات الدنيا واغترّوا بها. والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة. ونجد إشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٢]. هذه الآيات تبيّن أنّ الله يبتلي الإنسان بالحسنات والسيئات، بالضرّاء والسرّاء، ليمتحن صبره وشكره، وبهذا يتّخذ الإنسان خصائص صفات الله في صبره وشكره مهما كانت الظروف.

## في الأمر والنّهي

### العمل بالآيات:

- أفضل علاجين عند نزول المصائب: الصبر والصلاة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ...﴾.
- اسأل الله تعالى الشّهادة صادقًا من قلبك، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾.
- قل عند سماع المصائب سواء إذا أصابتك أو أصابت غيرك أو سمعت عنها في نشرات الأخبار: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

### فضل الاسترجاع عند المصائب

- من الكلمات العظيمة التي شرعها الله لعباده عند نزول المصائب قولُه تعالى على ألسنة المؤمنين: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وقد ورد في فضلها وثوابها أحاديث كثيرة، تُثبّت القلوب، وتغرس الرّضا، وتربط العبد بربه في لحظات الألم.
- ومن أعظم ما ورد في ذلك هذا الحديث المؤثّر: يروي أبو سنان رضي الله عنه أنّه دفن ولدًا له، وبينما هو في القبر أخذه أبو طلحة بيده وأخرجه، ثم قال له: "ألا أُبشّرك؟" قال: بلى. ثم حدّثه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ قَبَضْتَ وَلَدَ عَبْدِي. قَبَضْتَ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَثَمَرَةَ فُؤَادِهِ» فيقول ملك الموت: نعم. فيقول الله تعالى: فماذا قال عبدي؟ فيقول: حمدك واسترجع. فيقول الله عزّ وجل: «ابْنُوا لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»[٣].
- وفي الحديث: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٤]، اللهمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»[٥].
- وعن النّبيّ ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ، وَلَا مُسْلِمَةٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ، فَيَذْكُرُهَا وَإِنْ طَالَ عَهْدُهَا- قَدُمَ عَهْدُهَا- فَيُحْدِثُ لِذَلِكَ اسْتِرْجَاعًا، إِلا جَدَّدَ اللهُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَعْطَاهُ مِثْلَ أَجْرِهَا يَوْمَ أُصِيبَ بِهَا»[٦].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٨. (٢) سورة الكهف، الآية: ٧.
(٣) رواه أحمد في مسنده، عن أبي موسى، حديث رقم: ١٩٧٢٥، مسند: الكوفيين، مسند: حديث أبي موسى الأشعري.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.
(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن أم سلمة، حديث رقم: ٩١٨، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة.
(٦) رواه أحمد في مسنده، عن الحسين بن علي، حديث رقم: ١٧٣٤، مسند: أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، مسند: حديث الحسين بن عليّ رضي الله تعالى عنهما.

## من الأخلاق المحمّديّة: الصّبر:

هذا الخُلق مُستَمَدٌّ من اسم الله تعالى **"الصّبور"**. وَالتّخلُّقُ بِهِ يكونُ بأن تجاهدَ نفسَك على الصّبر في أربعة مواطن: **عندَ البلاء** فلا تعترضُ عليه، وتُذكّرُ نفسَك أنّ الخيرَ في ما اختارَهُ الله تعالى. **وعند النّعمةِ** فتصبر لأنّ شيطانَك يُزيّنُ لَكَ استخدامِها بالتّفاخر أو في معصية الله. **وتصبر على الطّاعة** كالمواظَبَةِ على الصّلواتِ الخمسِ في أوقاتِها والأورادِ والأذكارِ والصّيامِ والأمرِ بالمعروفِ والنّهيِ عنِ المنكرِ والأخلاقِ الحسنةِ. وأن **تصبر عن المعصيةِ**، فإنّ النّفسَ قد تحدّثك بالمعصية وتصرّ عليك لفعلها، فلا بدّ من أن تصبرَ لاجتنابِها.

- "لماذا لا أحصل على ما أريده فورًا؟ ألا أستحقّ أن أعيشَ منعّمًا؟ لماذا أنا دائمًا في بلاء؟ ولماذا أنا المصاب وليس غيري؟ كيف أصبرُ والحمل أصبح لا يُطاق؟" ألا تُحدّثنا نفسُنا بذلك وهي متمرّدة معترضة؟ لم لا نسألُها حينها: ألم تسمعي قول الله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]. أي إنّكِ إن صبرتِ، فأجرك لا يُعدّ ولا يحصى، بل يُصبّ عليكِ الأجرُ صَبًّا، والله يبشّرك أيّتها النّفس، إذا صبرتِ، بما لا عين رَأَت، ولا أُذن سمعَت، ولا خطرَ على قلب بشر...
- الصّبرُ هو أن نقبلَ ما يأتي مِن الله تعالى بالرّضى ظاهرًا وباطنًا متيقّنين أنّ ما قدّره الله لنا هو قمّةُ الخيرِ وعينُ الحكمة لنا.
- الصّبرُ لا يعني أن تنتظر الآتي بشكلٍ سلبيّ، ولكن أن تنظرَ إلى الأمور بإيجابيّة، متأكّدًا أنّ النّتيجة النّهائيّة هي خيرٌ لك.
- كلّنا نمرُّ ببلاء بين الحين والآخر، على صعيد ماديّ، أو صحّيّ، أو عبر خسارة محبوب، أو تفكّك عائليّ؛ حينها، علينا أن نربط ذلك كلّه بالحكمة الإلهيّة والتّدبير الرّبّانيّ، فالله سبحانه بيده الأمر كلّه، وقد أرسل لنا البلاء لنلجأ إليه وليقرّبَنا منه، وليرفعنا ويزكّي أنفسنا فننجو في الدُّنيا والآخرة.
- حبٌّ ووُدٌّ وعَطاءٌ في باطِنِ كُلّ بلاء، فهل سنعترضُ ونرفضُ الواقع؟ وشتّان بين مَن يصبر ويرضى فيرقى وينجح، وبين مَن يعترض ويرفض فيخسر ويخيب!
- لا بدّ أن نُمتَحَن بخمس بمثلِ ما امتُحِنَ بِهِ النّبيّ ﷺ وجميع الأنبياء، وذلك لكي نتعرّف إلى أسماء الله تعالى، قال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾
- قال رسول الله ﷺ: ﴿مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً﴾[2].

**الحكمة:** لا تستغرب وقوع الأكدار، ما دمت في هذه الدار، فإنّها ما أبرزت إلا ما هو مستحقٌّ وصفها وواجب نعتها.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة، حديث رقم: ٢٥٧٢، كتاب: البرّ والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أوحزن...

**الحصار في الشّعب:**

عندما حوصر النَّبيُّ ﷺ في شِعب أبي طالب لمدة ثَلاثِ سنواتٍ. منعوا عنه كلَّ شيءٍ، حتَّى أكل هو ومن معه أوراقَ الشَّجَرِ. ثمَّ ماتَتْ السَّيِّدةُ خديجةُ رضي الله عنها، ومات عمّه أبو طالب.

خلال فترة الحصار، واجه النَّبيّ ﷺ ظروفًا صعبة للغاية، فقد منعت قريش عنه وعن أتباعه أيَّ شَكْلٍ من أشكال الدَّعْمِ، ممّا اضطرَّهُمْ إلى الاعتمادِ على أوراق الشجر كمصدر رئيسيٍّ للغذاءِ. في هذه الفترة المظلمة، توفّيت السَّيِّدةُ خديجة، زوجةُ النَّبيّ ﷺ وأوَّلُ من آمَنَ بِرِسالَتِهِ، وتوفّي أيضًا عمّه أبو طالب، الذي كان دعمًا كبيرًا للنّبيّ ﷺ. ومع كل تلك الصّعاب رضي النَّبيّ ﷺ بقضاء الله وتعلّق باسم الله **القهّار**.

**وفاة أولاده ﷺ في حياته:**

لقد ماتَ جميعُ أولادِ النَّبيّ ﷺ في حياتِهِ إلَّا السَّيدةَ فاطِمَةَ رضي الله عنها، وهم: ابنُهُ القاسِمُ ماتَ قبل النُّبوَّةِ. وبناتُه الثّلاثةُ: السَّيدةُ زَيْنَبُ، والسَّيِّدَةُ رُقيَّةُ، والسَّيِّدَةُ أمُّ كَلْثوم رضي الله عنهن. ثمَّ مات ولدُهُ إبراهيمُ عليه السلام: لمَّا بَلَغَ النّبيُّ ﷺ من العُمُرِ ثلاثًا وستين عامًا رَزَقَهُ اللهُ تعالى بمولودٍ ذَكَرٍ من ماريَةَ القبطيَّةِ، فَسُرَّ ﷺ به كثيرًا، وسمَّاه إبراهيم. وأحبَّ النَّبيّ ﷺ إبراهيم حبًّا كبيرًا، وكان يُقبّلُهُ، ويلاعِبُهُ. وعندما بَلَغَ إبراهيمُ عليه السلام من العمر سَنَةً ونصفا مرض مرضًا شديدًا. فذهب النَّبيُّ ﷺ يعودُهُ ويَطْمَئِنُّ على حاله، فرأى عليه علاماتَ الموت. ثمَّ خرجَتْ روحُ ابْنه إبراهيمَ عليه السلام بين يديه ﷺ. فبكى النَّبيُّ ﷺ، وقال: ((**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلا نَقولُ إِلَّا ما يَرْضى رَبُّنا، وَإِنَّا بِفِراقِكَ يا إِبْراهيمُ لَمَحْزونون**))[1]. بكى ﷺ ولكنَّه رضي بقضاء الله تعالى، وهكذا تعلَّق ﷺ باسم الله تعالى القهّار، ورضي بقضاء الله في أشدِّ المواقف، فرفعَ اللهُ تعالى قَدْرَهُ، وكان سيّدَ الخَلْقِ أجمعين ﷺ.

**هزيمَتُهُ ﷺ في معركةِ أُحُدٍ:**

وذكر لنا القرآنُ ما حصل في معركة أُحُدٍ، وكان ﷺ شديدًا خاصَّة حين اسْتُشْهِدَ حمزةُ رضي الله عنه، وقد أَمَرَتْ هِنْدٌ، زوجةُ أبي سفيان، العبدَ وحشيًّا بقتل حمزة، ثمَّ جاءَتْ هي وأخرجَتْ كَبِدَ حمزةَ لِتَأْكُلَهُ ولم تَكُن قد أسْلَمَتْ بعد.

فلمَّا رآه النَّبيّ ﷺ حَزِنَ حُزنًا شديدًا على ما فعلوه به وتمثيلهم بجثّته. فقال الصَّحابة رضي الله عنهم عندما رأَوا حُزْنَ النَّبيّ ﷺ: ((**وَاللَّهِ لَئِنْ أَظْفَرَنا اللَّهُ بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْها أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ**)). فنزل عندها قول الله تعالى: ﴿**إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ**﴾[2].

ثمَّ جاءَ الخِطابُ للنَّبيّ ﷺ: ﴿**وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**﴾[3]. فعفا ﷺ، ونهى عن المُثلة. وقال ﷺ لحمزة رضي الله عنه لمّا دَفَنَه: ((**لَئِنْ أُصابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا! مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغْيَظَ إِلَيَّ مِنْ هَذَا!**))[4].

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن عبد الرّحمن بن عوف، حديث رقم: ١٣٠٣، كتاب: الجنائز، باب: قول النَّبيّ × إنّا بك لمحزونون، إسناده صحيح.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٦ (٣) سورة النحل، الآية: ١٢٧.
(٤) سيرة ابن هشام، كتاب: غزوة أحد، باب: ما نزل في النهي عن المثلة، ٩٦/٢.

### صبره ﷺ على إيذاء المنافقين:

صبر النّبيّ ﷺ على إيذاء المنافقين له في المدينة المنوّرة صبرًا شديدًا، لأنّهم كانوا يُظْهِرون الإسلام، وهم في الحقيقة يُبْطِنون الكُفر، ويتَرَبَّصون بالنّبيّ ﷺ وأصحابه، ويثيرون الخلاف والنّزاع بين المسلمين، ويخطّطون للقضاء عليهم وقد كشف العديد من خططهم وغدرهم بالمسلمين بالتّعاون مع الأعداء، إلى كلام هؤلاء المنافقين في عرضه ﷺ كما حدث في غزوة بني المصطلق الّتي أشاعوا فيها الإفك والكذب على أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها واتّهموها في عرضها ممّا أحدث بلبلة كبيرة حتّى أنزل الله تعالى براءتها في القرآن الكريم في سورة النّور. وكثر الأذى من المنافقين حتّى وصل الأمر إلى أن قال عمر رضي الله عنه عن زعيم المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول: "دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ النّبيّ ﷺ: ((دَعْهُ، لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ))[1].

### قصّة وفاة أبو سلمة:

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: أَتَانِي أَبُو سَلَمَةَ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلًا فَسُرِرْتُ بِهِ، قَالَ: ((لَا يُصِيبُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعَ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللهمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ))، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَحَفِظْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ اسْتَرْجَعْتُ وَقُلْتُ: اللهمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهُ، ثمّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ لِي خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَدْبُغُ إِهَابًا لِي، فَغَسَلْتُ يَدَيَّ مِنَ الْقَرَظِ وَأَذِنْتُ لَهُ، فَوَضَعْتُ لَهُ وِسَادَةَ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَقَعَدَ عَلَيْهَا فَخَطَبَنِي إِلَى نَفْسِي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بِي أَنْ لَا تَكُونَ بِكَ الرَّغْبَةُ فِيَّ، وَلَكِنِّي امْرَأَةٌ فِيَّ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ فَأَخَافُ أَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا يُعَذِّبُنِي اللهُ بِهِ، وَأَنَا امْرَأَةٌ قَدْ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ، وَأَنَا ذَاتُ عِيَالٍ، فَقَالَ: ((أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْغَيْرَةِ فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللهُ تعالى مِنْكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي))، قَالَتْ: فَقَدْ سَلَّمْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَقَدْ أَبْدَلَنِي اللهُ بِأَبِي سَلَمَةَ خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ"[2].

### تجربة الشّيخ الشّعراويّ

قام الشّيخ الشّعراوي رحمه الله في الجامع بتجربة على مئتيّ رجل، فأعطى كُلًّا منهم ورقة وقلمًا وطلب منهم أن يكتب كلّ واحد منهم البلاء الأكبر في حياته ويشرحه. فكتبوا جميعًا، وجاء بصندوق ووضع فيه الأوراق المكتوبة. فأصبح لديه في الصندوق مئتا بلاء، ثمّ دار بالصندوق بينهم. فمرّ بالرجل الأوّل وطلب منه أن يختار ورقة بلاء أحدهم ويقرؤها، فإن أرادَ استبدال بلاءهُ بهذا البلاء فليُبدّلهُ. فاختار الرجل بلاء غير بلائه الحقيقيّ، ولم يقبل باستبداله ببلائه. صحيح أن بلاءهُ لم يكن بلاءً عاديًّا، لكنّ الله تعالى بتقدير منهُ جعل هذا الشّخص قادرًا على التّكيّف مع بلائه. فعاد وطلب منهُ أن يختار ورقة ثانية وثالثة ورابعة وهكذا حتّى وصل إلى الورقة العشرين، فلم يقبل استبدال بلائه بأيّ منها. فقال الرجل إنّي رضيتُ ببلائي هذا. وهكذا فعل مع الآخرين الواحد منهم تِلْوَ الآخر، فلم يقبل أحدهم أن يستبدل بلاءه ببلاء آخر.

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن جابر بن عبد الله، حديث رقم: ٤٩٠٧، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿يَقولونَ لَئِن رَجَعنا إلى المَدينَةِ...﴾.
(٢) رواه أحمد في مسنده، عن أبي سلمة، حديث رقم: ١٦٣٤٤، مسند: المدنيين، مسند: أبي سلمة بن عبد الأسد.

فالله تعالى جعل هذه الدّنيا دار بلاء وامتحان. فمن المستحيل أن نعيش في هذه الدُّنيا بدون بلاء، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾. واعلم أنّ هذه البلايا هدفها أن تعرّفنا حقّ المعرفة إلى صفات الجلال لله تعالى، ولكي ندخل الجنّة وهي دار السّلام، يجب أن نتعرف إلى الجلال والجمال. فما نوع البلاء الذي سوف يأتينا؟ وهذا ما لا يعلمه إلا الله. فالبلاء الذي يصلح لك لا يَصلُح لغيرك. والشّيطان يجعلك تمدّ عينيك إلى حياة غيرك، وهي لا تُناسبك، فالله قد اختار لك الأفضل. وهُنا يجب أن تُسلِّم، فإذا سَلّمت بالقضاء والقدر، فمعناه أنّك آمنت بأنَّ الخيرة فيما اختارهُ الله.

## في السّلوك

**الإشارة:** يا أيّها الذين آمنوا بطريق الخصوص استعينوا على سلوك طريق حضرتنا ومشاهدة أنوار قدسنا بالصّبر على ما تكره النّفوس من ترك الحظوظ والشّهوات، والميل إلى العادات والمألوفات، وبالصّلاة الدّائمة وهي صلاة القلوب بالعكوف في حضرة الغيوب. إنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ بالمعونة والتّأييد، وإشراق أنوار التّوحيد، ولا تقولوا لمن ترونه قتل نفسه بالذّلّ والافتقار، وخرق العوائد وخلع العذار: إنّه قد مات، بل هو حيّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾[1] فإذا ماتت نفس المريد، واستوى عنده الذّلّ والعزّ والمدح والذّم، والغنى والفقر، والموت والحياة، فقد حيّيت روحه واتّسع عليها فضاء الشّهود. فلا يزيدها الموت الحسيّ إلا اتّصالًا وتمتّعًا وشهودًا، فهي في التّرقي أبدًا سرمدًا، ولكن لا تشعرون بما هم فيه في هذه الدّار وفي تلك الدّار.

## في الإعجاز العلميّ

## في أشراط السّاعة

## في الأدعية والأذكار

إذا ابتُليت ببلاء فقل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2]، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا"[3].

(١) سورة الدخان، الآية: ٥٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أمّ سلمة، حديث رقم: ٩١٨، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة.